وصايا الآباء للأبناء

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م

وصايا الآباء للأبناء

أو

(الدروس الأولية في الأخلاق المرضية)

تأليف

الشيخ محمد شاكر

شيخ علماء الإسكندرية سابقاً

(ولد ١٢٨٢هـ - توفي ١٣٥٨هـ)

راجعه وخرج أحاديثه

عبد القادر الأرناؤوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فهذه « وصايا الآباء للأبناء » أو « الدروس الأولية في الأخلاق المرضية » للعلامة الشيخ محمد شاكر رحمه الله ، وهو علم من أعلام العصر ، نقدمها لطلاب العلم في وقت أحوج ما يكون طالب العلم إليها ، جمع فيها مؤلفها نصائح الأستاذ لتلميذه ، والوصية بتقوى الله عز وجل ،وحقوق الله تعالى ، وحقوق رسوله ﷺ ، وحقوق الوالدين ، وحقوق الإخوان والأصدقاء،وذكر آداب طالب العلم ، وأدب المطالعة والمذاكرة والمناظرة مع طلاب العلم ،

وآداب الرياضة والمشي في الطرقات ، وأدب المجالس وأدب المحاضرة ، وآداب الطعام والشراب ، وآداب العبادات وآداب المساجد ، وفضيلة الصدق ، وفضيلة الأمانة والعِفَّة ، وما يتعلق بالمروءة والشهامة وعِزَّة النفس، وما يتعلق بالغيبة والنميمة والحقد والحسد والكبر والغرور ، وما يتعلق بالتوبة والخوف والرجاء والصبر مع الشكر ، وذكر باباً في فضيلة العمل والكسب مع التوكل والزهد ، وإخلاص النيّة لله تعالى في جميع الأعمال .

ثم ذكر أخيراً خاتمة الوصايا في عدة أمور لا بدَّ منها لطالب العلم ، وهي أن يكثر من مدارسة لقرآن وحفظه والعمل به ، وأنه ينبغي أن يحاسب نفسه على تقصيره ، وأن يكثر من الابتهال إلى الله تعالى والدعوات الصالحات لنفسه ولوالديه ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات .

هذا وقد ذكر المؤلف رحمه الله هذه الأبحاث مستدلاً عليها بالكتاب والسنة وأقوال العلماء المحققين ، وقد خرج أحاديثه تخريجاً سريعاً ، معتمداً على ما ذكره الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » وقد رجعت في هذه التخريجات إلى مصادرها فبينت مواطنها في كتب الحديث ، وحكمت عليها صحة وحسناً وضعفاً حسب القواعد المصطلح عليها عند أهل

هذا الفن ، ليكون طالب العلم على بينة من أمره ، في معرفة هذه الأحاديث النبوية الشريفة، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق السبت ١٥ ربيع الأول ١٤١٣ هـ

١٢ أيلول ١٩٩٢ م

ترجمة الشيخ محمد شاكر

هو العالم الجليل والكاتب القدير ، مجدد الأزهر السيد الشريف الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر بن عبد الوارث من آل أبي علياء من أسرة كريمة معروفة من أشرف الأسر وأكرمها بمدينة جرجا .

ولد بجرجا في منتصف شوال عام (١٢٨٢) هـ . وحفظ بها القرآن ، وتلقى مبادىء التعليم ، ثم رحل إلى القاهرة، إلى الأزهر، فتلقى العلم عن كبار الشيوخ في ذلك العهد ، ثم صار أميناً للفتوى سنة (١٣٠٧) هـ . ثم ولي منصب نائب محكمة مديرية القليوبية ، ومكث فيه نحو سبع سنين إلى أن اختير قاضياً لقضاة السودان سنة (١٣١٧) هـ . وهو أول من ولي هذا المنصب ، وأول من وضع نُظُم القضاء الشرعي في السودان على أوثق الأسس وأقواها ، ثم عين سنة (١٣٢٢) هـ شيخاً لعلماء الإسكندرية ، فوضع القواعد الثابتة لتنظيم المعاهد الإسلامية حتى تؤتي ثمرها ،

وتخرج للمسلمين رجالاً هداة يعيدون للإسلام مجده في أنحاء الأرض ، ثم عين وكيلاً لمشيخة الأزهر ، فبذر فيه بذور الإصلاح ، ثم انتهز فرصة إنشاء الجمعية التشريعية سنة (١٩١٣) م فسعى إلى أن صار عضواً فيها ، معيناً من قبل الحكومة المصرية ، وبذلك ترك المناصب الرسمية ، وأبى أن يعود إلى شيء منها ، ولم يخضع بعد ذلك لشيء من مغرياتها ، بل فضَّل أن يعيش حر الرأي والعمل والقلب والعلم ، وكانت له في الصحف جولات صادقة ، ومقالات نَيِّرة ، لا يزال صداها يدوي في أذهان كثير ممن عنوا بالأمور الاجتماعية ، وكان من أبرز سجاياه أنه صلب في دينه ، صلب في عقيدته ، صلب في رأيه ، شجاع غير جبان ، لا يرهب أحداً من الناس ، ولا يخشى إلا الله تعالى .

وكان قوياً في العلوم النقلية والعقلية ، ولم يصمد له أحد في مناظرة أو جدال لإبداعه في إقامة الحجج وإفحام المناظر ، لخصوبة ذهنه وتسلسل أفكاره ، وانتظامها على قواعد المنطق الصحيح السليم .

وفي آخر عمره أقعده المرض في منزله ، وألزمه الفراش ، إذ أصابه الفالج فاحتمله صابراً محتسباً ، راضياً عن ربه وعن نفسه ، موقناً أنه قام بما وجب عليه خير قيام نحو دينه ، ونحو

ألمته ، منتظراً دعوة ربه لعباده الصالحين ﴿ يا أيَّتُها النفسُ المطمئنَّةُ ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضِيَّةً فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي ﴾ .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، توفي رحمه الله سنة (١٣٥٨) هـ الموافق (١٩٣٩) م ولابنه العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر أبي الأشبال المحدث المصري الكبير المتوفى سنة (١٩٥٨) م رحمه الله رسالة في سيرته سماها (محمد شاكر) علم من أعلام العصر .

انتهى بتصرف من ترجمة ولده العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله .

مقدمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين . وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه « دروس أوّليّة في الأخلاق المرضيّة » وضعتها لطلبة العلوم الدينيّة . وقد ضمّنتها من الأخلاق ما يحتاج إليه طالب العلم في بداية أمره ، حتى إذا وفّقه الله للتّخلّق بها كان مرجوّاً أن ينفعه الله بعلمه ، وأن ينفع به كثيراً من خلقه ، والله وليّ الرّشاد،والهادي إلى الصراط المستقيم .

الدرس الأول

نصيحة الأستاذ لتلميذه

يا بُنَيَّ : أرشدَك الله ، ووفقك لصالح الأعمال ، إنَّك مِني بمنزلة الولد من أبيه .

يَسُرُّني أن أراكَ صحيحَ البِنْيَةِ ، قويَّ الإدارِكِ ، زكيَّ القلبِ ، مُهذَّبَ الأخلاقِ ، محافظاً على الآداب ، بعيداً عن الفُحْش في القَوْل ، لطيفَ المعاشرة ، محبوباً من إخوانك ، تواسي الفقراء ، وتُشْفِقُ على الضعفاء ، تَغْفِرُ الزّلاتِ ، وتعفو عن السيئاتِ ، ولا تفرِّطُ في صلاتك ، ولا تهملُ في عبادةِ ربك .

يا بنيَّ : إنْ كنتَ تَقبلُ نصيحةَ ناصح ، فأنا أحقُّ مَنْ تَقْبَلُ نَصِيحتَهُ .

أنا أُستاذُكَ ومعلِّمُكَ وَمُرَبِّي روُحِكَ ، لا تجد أحداً أحرص على منفعتك وصلاحك مِني .

يا بنيَّ : إني لك ناصحٌ أمينٌ ، فاقبل ما أُلقيه عليك من النصائح ، واعمل به في حضوري ، وبينك وبين إخوانك ، وبينك وبين نفسك .

يا بُنيَّ : إذا لم تعمل بنصيحتي في خَلْوَتك ، فقلَّما تحافظُ عليها بين إخوانك .

يا بُنيَّ : إذا لم تتَّخِذْني قُدْوَةً فبمن تقتدي ؟ ! وعلامَ تُجهِد نَفْسَك في الجلوس أمامي ؟ !

يا بُنيَّ : إن الأستاذ لا يحبُّ من تَلامِيذِه إلا الصالح المؤدَّبَ ، فهل يَسُرُّكَ أن يكون أسْتاذُكَ ومُرَبِّيكَ غيرَ راضٍ عنك ، ولا طامعٍ في صلاحك ؟

يا بنيَّ : إني أحبُّ لكَ الخيرَ ، فسَاعِدْني على إيصال الخير إليك بالطاعة والامتثال لما آمُرُك به من مكارم الأخلاق .

يا بُنيّ : الخُلُق الحَسَنُ زِينَةُ الإنسان في نفسه وبين إخوانه وأهلِ عشيرته ، فكُنْ حَسَنَ الخُلُق ، يَحترِمْكَ الناس ويحبُّوك .

يا بُنيَّ : إذا لم تُزَيِّن عِلْمَكَ بِكَرَمِ أخلاقك ، كان عِلْمُكَ أضرَّ عليك من جَهْلك ، فإن الجاهلَ معذورٌ بجهله ، ولا عذرَ للعالم عند الناس إذا لم يَتَجَمَّل بمحاسن الشِّيَم .

يا بُنيَّ : لا تعتمدْ على مراقبتي لك ، فإن مراقبتَك لنفسك أفضلُ وأنفعُ من مراقبتي لك .

يا بنيَّ : قال رسولُ الله ﷺ : « إن الله اسْتَخْلصَ هذا الدِّينَ لنَفسِهِ . وَلا يَصْلُح لِدِينكم إلا السَّخاءُ ، وَحُسْنُ الخُلُقِ ، أَلا فزيِّنُوا دِينَكُم بِهِما » . (١)

---

(١) رواه الطبراني عن عمران بن حصين . وأشار السيوطي إلى أنه حديث ضعيف .

أقول : ذكره الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٧/٣) و(٢٠/٨) وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه عمرو بن الحصين العقيلي ، وهو متروك . فالحديث ضعيف جداً ، بل منهم من قال : إنه موضوع ، ولكن معناه صحيح ، فإن الدين لا يقوم إلا بالسخاء وحسن الخلق .

الدرس الثاني

في الوصية بتقوى الله العظيم

يا بُنيّ : إنَّ رَبكَ يعلمُ ما تُكِنُّهُ في صدرك ، وما تُعْلِنُه بلسانك ، ومُطَّلعٌ على جميع أعمالك ، فاتَّقِ الله ـ يا بنيَّ ـ واحْذَرْ أن يراك على حالة لا ترضيه .

احذر أن يَسَخَطَ عليك ربُّك الذي خَلَقكَ ورزقك ووهبك العقلَ الذي تتصرَّف به في شؤونك . كيف يكونُ حالُكَ إذا اطَّلع عليك أبوك وأنتَ تفعلُ أمراً نهاك عنه ؟ أما تخشى أن يشدِّدَ عليك العقوبة ، فليَكُنْ حالُك مع الله كذلك ، لأنه يراكَ من حيثُ لا تراه ؟ فلا تُفَرِّط في شيء أمرك به ، ولاتَـمدُدْ يدك إلى شيء نهاك عنه .

يا بُنيَّ : إنَّ ربكَ شديدُ البطش ، شديد العقاب ، فاحذَرْه ـ يا بنيَّ ـ واتَّقِ غَضَبَهُ وَسَخَطه ، وَلا يَغُرَّنَّكَ حِلْمُهُ و « إن الله يملي للظَّالم ، حَتَّى إذا أخذَهُ لم يُفْلِتْهُ » . (١)

---

(١) هذا لفظ حديث شريف . رواه البخاري ومسلم والترمذي